المبادرة التعليمية العالمية

مسائل العقيدة ٧

مدخل

13

مالا يسَعُ الشيخ جهله

العذر بالجهل

مركز الوسطية
للبحوث والدراسات
الإصدار الأول ١٤٤٧هـ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

"وُجُودُ هَذَا قَدْ يُذكرُ وَيُحَرَّكُ، كَمَا لَوْ خُوطِبَ الْجَائِعُ بِوَصْفِ طَعَامٍ، أَوْ خُوطِبَ الْمُغْتَلِمُ بِوَصْفِ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّ هَذَا مِمَّا يُذكرُ وَيُحَرَّكُ، لَكِنْ لَا يَجِبُ ذَلِكَ فِي وُجُودِ الشَّهْوَةِ لِلطَّعَامِ وَوُجُودِ الْأَكْلِ .. وَأَيْضًا فَالْإِقْرَارُ بِالصَّانِعِ بِدُونِ عِبَادَتِهِ، بِالْمَحَبَّةِ لَهُ وَالذُّلِّ لَهُ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، لَا يَكُونُ نَافِعًا، بَلِ الْإِقْرَارُ مَعَ الْبُغْضِ أَعْظَمُ اسْتِحْقَاقًا لِلْعَذَابِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي الْفِطْرَةِ

فَاعِلِهِ مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ وَالْكُفْرِ بِآيَاتِ اللهِ وَرُسُلِهِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْهَا، بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ وَبُلُوغِهَا الْمُعْتَبَرَ، كَتَكْفِيرِ مَنْ عَبَدَ الصَّالِحِينَ، وَدَعَاهُمْ مَعَ اللهِ، وَجَعَلَهُمْ أَنْدَادًا لَهُ فِيمَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَى خَلْقِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْإِلَهِيَّةِ؛ وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ" (**الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ**).

يُضَحَّى عَنْهُ، وَلَا يُدْعَى لَهُ، وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمَّا الْحُكْمُ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ فِي أَحْكَامِ الْآخِرَةِ مَا دَامَ جَاهِلًا.

وَانْظُرْ مَا أَحْدَثَتْهُ هَذِهِ الْفَتْوَى فِي بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ!! فَهَذَا الْقَوْلُ فَتَحَ بَابَ شَرٍّ عَظِيمٍ وَجَعَلَ حَتَّى عَوَامَّ النَّاسِ يَتَجَرَّأُونَ عَلَى التَّكْفِيرِ؛ فَهُمْ لَا يُحْسِنُونَ هَذَا التَّفْرِيقَ بَيْنَ زَوَالِ الِاسْمِ وَالْحُكْمِ بِالْكُفْرِ.

مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾

[سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآيَة ٦]؛ قَالُوا: فَسَمَّاهُ

مُشْرِكًا قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ. وَأَمَّا فِي

الْآخِرَةِ فَيَجْعَلُونَهُ مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ فَيُخْتَبَرُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ مَذْهَبِهِمْ

وَتَنَاقُضِهِمْ أَيْضًا؛ وَإِلَّا فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ

مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمُرْتَدَّ يُخْتَبَرُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ أَنَّهُمْ يَعْتَبِرُونَهُ كَافِرًا

أَصْلِيًّا.

وَبَعْضُهُمْ عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِتَقْسِيمٍ جَدِيدٍ

سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي الطَّهَارَةِ أَوِ الْبَيْعِ وَنَحْوِهِمَا لَمْ يُفْتِ بِمُجَرَّدِ فَهْمِهِ وَاسْتِحْسَانِ عَقْلِهِ، بَلْ يَبْحَثُ عَنْ كَلَامِ الْعُلَمَاءِ، وَيُفْتِي بِمَا قَالُوهُ؛ فَكَيْفَ يَعْتَمِدُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ أُمُورِ الدِّينِ وَأَشَدُّهَا خَطَرًا عَلَى مُجَرَّدِ فَهْمِهِ وَاسْتِحْسَانِهِ؟! فَيَا مُصِيبَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ، وَيَا مِحْنَتَهُ مِنْ تَيْنِكَ الْبَلِيَّتَيْنِ! وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ

الْأَنْعَامِ: الآيَة ١٩]؛ وَلِذَلِكَ يَعْذُرُونَ مَنْ كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ لِعَدَمِ الْبُلُوغِ وَعَدَمِ التَّمَكُّنِ. وَكَوْنُهُمْ يَعْذُرُونَ هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنَاطَ التَّفْرِيقِ عِنْدَهُمْ قِيَامُ الْحُجَّةِ؛ قَالُوا: فَهَذَانِ الصِّنْفَانِ يَتَعَذَّرُ فِي حَقِّهِمَا قِيَامُ الْحُجَّةِ. وَهَذَا مَذْهَبُ أَكْثَرِ الْمُفْتِينَ عَلَى وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ.

وَلِأَهْلِ التَّفْسِيرِ كَلَامٌ طَوِيلٌ فِي تَفْسِيرِ

«الْمُرَادَ أَنَّهُ يُسْمِعُهُ سَمْعًا يَتَمَكَّنُ مَعَهُ مِنْ فَهْمِ مَعْنَاهُ، إِذِ الْمَقْصُودُ لَا يَقُومُ بِمُجَرَّدِ (سَمْعِ لَفْظٍ) لَا يَتَمَكَّنُ مَعَهُ مِنْ فَهْمِ الْمَعْنَى؛ فَلَوْ كَانَ غَيْرَ عَرَبِيٍّ وَجَبَ أَنْ يُتَرْجَمَ لَهُ مَا يَقُومُ بِهِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَلَوْ كَانَ عَرَبِيًّا -وَفِي الْقُرْآنِ أَلْفَاظٌ غَرِيبَةٌ لَيْسَتْ لُغَتَهُ- وَجَبَ أَنْ يُبَيَّنَ لَهُ مَعْنَاهَا، وَلَوْ سَمِعَ اللَّفْظَ كَمَا يَسْمَعُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَلَمْ يَفْقَهِ

عَلَيْهِ الْحُجَّةُ مَا دَامَتْ تَقُومُ عَلَى مِثْلِهِ.

وَيَعْذُرُونَ مَنْ كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ، وَيَبْنُونَ عَلَى هَذَا أَنَّ الْعَجْزَ عَنْ رَفْعِ الْجَهْلِ نَوْعَانِ:

1. **عَجْزٌ حَقِيقِيٌّ:** كَمَنْ يَنْشَأُ فِي بَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ.
2. **عَجْزٌ حُكْمِيٌّ:** كَمَنْ نَشَأَ فِي مَدِينَةٍ أَهْلُهَا يُعَظِّمُونَ قُبُورَ الصَّالِحِينَ، وَيُفْتِيهِمْ شُيُوخُهُمْ بِأَنَّ دُعَاءَ أُولَئِكَ